منظومة

أميرَةُ العَرَبِ

بَينَ الرُّقَبَاءِ وَالعَاشِقِينَ

د. سعيد أحمد حياة المُشَرَّفِي (الهندي المَيوَاتِي)*

أنشأتُ هذه القصيدةَ المعنونة بـ **(أميرة العرب –بين الرقباء والعاشقين)** بمناسبة الاحتفاء **باليوم العالمي للغة العربية لعام ٢٠٢٢**، وقد أقامت **كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة جميرا** أمسية ثقافية -عبر منصة التيمز الإلكترونية- بهذه المناسبة، بعنوان **"تحديات تواجهها اللغة العربية."** وقد تشرفت بالمشاركة فيها، إضافةً إلى المشارك الثاني -ضيف الأمسية- فضيلة **الدكتور شمس كمال أنجُم الأثري**، (العميد المشارك بكلية الدراسات الإسلامية واللغات حاليا -ورئيس قسم اللغة العربية بها سابقا- بجامعة بابا غلام شاه الحكومية، بمدينة راجُوري، الهند) وفقه الله ورعاه. وذلك مساء يوم الأحد الموافق ١٨ ديسمبر، وقد حضرها عدد كبير من الطلاب والضيوف الكرام من داخل دولة الإمارات العربية المتحدة ومن الهند وغيرها.

ولقد كان بالي منذ الصباح الباكر ليوم السبت (٢٠٢٢/١٢/١٧) مشغولا بهذه الأمسية والاستعداد لها؛ فهممت أن أقرأ وأجمع المادة حول العناصر التي سوف أتحدث عنها في الجلسة، ولكن بدلا من القراءة وجمع المادة إذا بهاتف الشعر يهتف؛ وبالقريحة تندى، فتفيض بهذه الأبيات التي لم أقم عنها إلا في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. وكان عددها حينئذٍ حوالي ستين بيتا، ثم، بعد الأمسية، أعدت النظر فيها، فوصلت القصيدة -بفضل الله عزوجل- الآن إلى ما وصلت إليه.

---

* أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية، جامعة جُمَيرا، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتتضمن القصيدة -تصريحا أو تلميحا- عدة موضوعات وقضايا تتمحور حول هذه اللغة الجميلة والعريقة، ومنها بعض الأمور التي تعتبر -من وجهة نظري- بمثابة تحديات واجهتها أو ما زالت تواجهها اللغة العربية حتى اليوم.

ومن الناحية الفنية، شعرت أثناء كتابة القصيدة وبخاصة في مرحلة استكمالها بأن رويّ حرف السين ضيق نوعا ما؛ لذلك وردت بعض الكلمات فيها على غير المألوف من استعمالها في اللغة العربية، مثل "ماسِس"، و"حَواسِس"، ولكني توكلت على الله سبحانه، ومضيت قدما في استكمال القصيدة، أما بعض الضرورات التي وردت فيها فلعل لي في تلكم الاستعمالات عذرا، ودعما من كلام بعض الشعراء القدامى.[١] وبعد اكتمال الأبيات رجعت إلى بعض كبار الشعراء؛ لكي أرى قصائدهم التي صمَّموا قوافيها على رويٍّ حرف السين، فاكتشفت أن هذا الروي قليل الورود لدى عموم الشعراء. فلا توجد لدى المتنبئ مثلا إلا أبيات معدودات فقط عليه، أما ورود هذا الرويّ مع "القافية المؤسَّسة" فقليل جدا، ولا يوجد لدى بعض الشعراء الكبار أي قصيدة من هذا القبيل رويًّا وقافيةً.

هذا، وأنا عندما يوفقني الله -سبحانه وتعالى- لكتابة بعض الأبيات الشعرية فإني لا أغفل جانب طلابي وطالباتي العزيزات بكلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية بالجامعة؛ فأراعي رغبتهم واهتمامهم وحرصهم أو حاجتهم لمعرفة المزيد أو الجديد؛ لذلك فإني أحرص دائمًا على شرح بعض الكلمات التي قد يصعب فهم معناها على بعضهم.

(١) هذه الضرورة معروفة لدى المتنبي، ولكني وجدتها أيضًا لدى غيره من الشعراء، يقول مثلا الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- في بيت له:
إذا سَبَّني دَنذلٌ تَزايَدتُ رِفعَةً ◆ وَما العَيبُ إلّا أَن أَكونَ مُسابِبُه
فقد فك الإدغام في كلمة (مُسَابِبُ)، وفيها ضرورة أخرى، وهي رفعها والصحيح إعرابًا نصبُها؛ على أنها خبر "كان"، غير أن الضرورة الشعرية ألجأت الإمام إلى ذلك.

أميرَةُ العَرَبِ
بَينَ الرُّقَبَاءِ وَالعَاشِقِينَ

سَـــرى مُوهِنًـــا طَيـــفٌ وطَرفِـــيَ نَـــاعِسٌ ... وَلَاعِـــجُ أشْـواقِـــي بِقَـلْبِـــيَ عَـــاوِسُ[٢]

هُيَامِـــي بِـــهِ بَيْـــنَ الحَنَـــايَا تَضَـــرُّمٌ ... وَرُوحِـــي بِـهَـــا تِحْنَـــانُ بَـــوٍّ يُحَامِـــسُ

وَكَـــائِنْ تَـــرَى الإنسَـــانَ[٣] يَرْجُـــو جُفُونَـــه ... وَفِيـــها وَطِيـــسُ السُّهْـــدِ غَبْـــرَا وَدَاجِـــسُ

فَقُلْـــتُ: أَيَـــا طَيفِـــي الـــمُسلِّم مَـرْحَـــبًا ... حَنَـــانَيكَ، أَلْـــقِ الـــزَّورَ، إِنَّـــا طَوَاهِـــسُ[٤]

لِنَجْـــدٍ بِـــهَا تَـــاجُ العـــرُوبِ غَـرِيْـــرَةً ... بِـجِيْـــدِ المَـــهَا هَامًـــا لِشِعْـــرَى تُـــلَامِسُ

فَشُـــقَّ حِجَـــابَ اللَّيْـــلِ صَـــوبَ خَرِيـــدَةٍ ... تَـزيْـــنُ أَمَـالِيْـــدًا، وَغِيْـــدًا تُنَـــاطِسُ[٥]

وَسِـــرْ سَابِـــحًا فِـــي آلِ جَـــونٍ وَجَـــاذِلًا ... وَبَـــرْقُ مُحَـيَّاهَـــا دَلِيْـــلٌ وَقَـــابِـــسُ

وَلَـــيسَ اللَّيَالِـــي غَيـــرَ إرسَـــالِ فَـاحِـــمٍ ... وَلَا مِـــن سُحُـــورٍ إِلَّا مِنْـــهَا المَعَـــارِسُ

تُـرَاهَـــا بُـــرُوقًا فِـــي أَقَـــاحٍ بِغُـــرَّةٍ ... بِرَيَّـــا عَـــرَارٍ مِـــنْ شَـذَاهَـــا هَـوَاجِـــسُ

وَإِنْ مِـــنْ صَـــبَاحٍ فَـــاحَ طِيـــبُ تَـــنَفُّسٍ ... وَشَـــى عَـــن مُـــدَامٍ أَو أَغَـــنَّ يُكَانِـــسُ

وَلَا تَـرتَقِـــي شَـــمْسٌ مَنَـــازِلَ جَـرْيِـهَـــا ... وَلَيسَـــتْ سَمَـــاءً مِـــن حَبِيْبِـــي تُجَـــاوِسُ[٦]

وَلَا صيِّـــبٌ ذُو الـــجَودِ يَـــرْوِي بِـدِيمَـــةٍ ... خُشَاشَـــةَ رُوحٍ فِـــي الـمُعنَّـــى وَرَاجِـــسُ[٧]

وَلَا مَنْطِـــقٌ بِالطَّيـــرِ رَنَّـــمَ سَـاجِعًـــا ... وَلَا مِـــن حَفِيْـــفٍ لِلغُصُـــونِ يُهَامِـــسُ

وَلَا وَرَّد الأزهَـــار عِـنْـــدَ ابْتِسـامِهَـــا ... وَلَا تَـــكْتَسِي خُضْـــرَ الـــمُلَاءِ الأَمَـــالِسُ[٨]

وَلَا نَـــرْجِسٌ يَقْـــرِي بِرِمْـــشٍ فَرَاشَـــةً ... وَلَا مِـــن غَـــوَادٍ فِـــي لَمَـــاها تُخَـــالِسُ

---

(٢) العاوس: الطائف بالليل.

(٣) الإنسان: مقلة العين.

(٤) الطهس في اللغة: التوغل في الأرض.

(٥) النطس: التَّأَنُّقُ في الكلام، والمَطْعَم، والمَلْبَس، وفي جميع الأمور.

(٦) تجاوس: من الجوس، وهو طلب الشيء. قال تعالى: (فَجَاسُواْ خِلَالَ ٱلدِّيَارِ ۚ).

(٧) الراجس: شديد الرعد.

(٨) الأمالس: الصحاري لا نبات فيها.

وَلَا مِـــن بِحَـــارٍ تَلحَـــفُ الـــمَوجَ رَاقِصًـــا ... فَتَنْتَـــفِضُ الأَكْـــوَانُ لَحْـــنًا تَـــمَـــايَسُ

وَلَا أَلْـــسُـــنٌ أَدْرَكْـــنَ كُـــنْـــهَ مُـــرَادِه ... مِـــنَ اللهِ أَو لَفْـــظَ الـرَّسُـــولِ تُـهَامِـــسُ

سِـــوَى لُـغَـــةِ القُـــرْآنِ جَـــلَّ جَـلَالُـــهَا ... لِسَـــانًا بَـرَتْـــهُ الطِّيْـــبَ أَيْـــدٍ أَقَـــادِسُ

بَـــرَاهُ، كَإِنْـــشَاءِ الجِـــنَانِ وَحُـــورِهَا ... إِلَـهِـــي، شَـــبَابٌ سَرْمَـــدِيٌّ وطَائِـــسُ[٩]

لَـــئِنْ رغْـــتِ عَيْـــنًا مِـــن إِلَـهَـــةِ أَنْـجُـــمٍ ... بَغَيْـــنا حِجَـــابًا غَـــارَ مِنْـــه الدَّمَـــاقِسُ:

عَـجَـاجَـــةَ دُجْـــنٍ بِالقَتَـــامِ مَشُوبَـــةً ... وَإِكْـلِيْـــلَ جَـــونٍ لِلبُـــدُورِ الـــمكَانِسُ[١٠]

وَلَكِـــن إِذَا نَفْـــسٌ تُعَـــانُ[١١] بِنَفْسِـــها ... فَكَيـــفَ الحِجَـــابُ؟ فَلْتُجِبْـــنا النَّـــرَاجِسُ!

قِفَـــا كُـــفَّ عَـــنِّي ذَا النَّسِـــيبَ تَغَـــزُّلًا ... وَدَعْنَـــا يُقَابِـــلْ مِـــن قَبِيْـلِـــي الأَشَـــاوِسُ

قِفَـــا نَبْـــكِ مِـــن ذِكْـــرَى حَبِيـــبٍ وَمَنْـــزِلِ ... بِبِيْـــدٍ وَخِلْجَـــانٍ تَـلِيْـــهَا الأَطَـــالِسُ[١٢]

بَنِـــي يَعْـــرُبٍ، صَـــرفَ الزمـــانِ أُعَاتِـــبُ ... عتـــابَ مُحِـــبٍّ وامِـــقٍ لا يُبَـاخِـــسُ

وَأَشْـــكُو إِلَـــى ربِّـــي شُجُونِـــي وَحَيْرتِـــي ... بِـــمَا لَـــم أعامَـــلْ مِثْـــلَ طيـــبٍ يُؤَانَـــسُ

أَوِ اللُّؤْلُـــؤِ المَكـــنُونِ حُـــبًّا مُنَافِـــدًا ... شِـــغَافَ سُوَيْـــدَاءٍ، أمِ القَـــومُ عَـــاجِسُ؟[١٣]

أَآلَ أبِـــي، مَـــاذَا بِأعْجَـــبِ تُحْفَـــةٍ ... حَبَـاهَـــا لَكُـــم رَبِّـــي، وَغَيْـــرِيَ قَـــاعِسُ؟

أَجَـــلْ قَـــدْ شَهِدْتُـــم بِاللِّـــسانِ حَمِيَّـــةً ... عَـــلى أَنَّنِـــي الـــدرُّ اليَتِيـــمُ العُـــطَامِسُ[١٤]

وَلَكِـــنَّ خَـوفِـــي أَنْ أَكُـــونَ يَتِيْـمَـــةً ... بِـــصِدْقٍ، وَمَـــا قُلْتُـــمْ مَجَـــازٌ مُشَـــارِسُ

ألا لَيْـــتَ شِعْـــرِي! كَيـــفَ تَرسُـــو قَـنَاعَـــةٌ ... إِلَـــى شَـــطِّ قَلْـــبِي، لا تَـرِيْـــبُ الوَسَـــاوِسُ!

وَتَـــاهَ بِـــيَ الرُبَّـــانُ لَـــمْ يَـلْـــقَ وِجْـهَـــةً ... تَنَـــاءَى عَـــن الجُـــوْدِيْ وُجُـــوديْ وَغَـــاطِسُ

وَمَـــا لِـلأَثَـافِـــي لَـــو وُضِـــعْنَ بِـقِـمَّـــةٍ ... وَأَلْسُـــنُ لَهْـــبٍ قَـــد طَفَتْـــهَا أَوَاعِـــسُ[١٥]

(٩) الطائس: مزيد من الحسن والبهاء، ومنه الطوس، أي القمر.

(١٠) المكانس: جمع مَكنس، من كَنَسَ الظبيُ إذا آواه بيته.

(١١) تُعان: تصاب بالعين.

(١٢) أي من الخليج إلى المحيط، والشطر الأول مقتبس من معلقة امرئ القيس المعروفة.

(١٣) العاجس: الماشي على غير الطريق بسبب نشاطه.

(١٤) العطامس: الجميلات.

(١٥) طفت،: أي طفأت، والأواعس: الأماكن الرملية التي تنبت نباتات حرة.

مَـــــلامٌ إذَا لَـــــم تَسْتَجِـــــرَّ مَـوَاقِـــــدٌ ... وَلَا لَـــو يَحُـــسُّ الجُـــوعُ جَوعَـــى الهُـــرامِسُ[١٦]

وَ"شَـاعِـــرُ نِيْـــلٍ" كَـــم تَنَـــادَى تَمَلْمُـــلًا ... صَرِيْـــخًا: أَلَا فَلْيَحْـــنُ مِنْـــكم فَـــوارِسُ

وَقَـــالَ: "[١٧] فَقُونِـــي مِ الـــزَّمَانِ فَإِنَّنِـــي ... أَخَـــافُ عَلَيْكُـــمْ أَنْ تَحِيـــنَ الطَّوَافِـــسُ[١٨]

إِلَـــى مَعْـــشَرِ الْكُـــتَّابِ وَالْجَـــمْعُ حَافِـــلٌ ... بَسَطْـــتُ رَجَائِـــي، قبـــلَ مَـــا إنْ أُكافِـــسُ[١٩]

فَإِمَّـــا حَيَـــاةٌ تَبْعَـــثُ الْمَيْـــتَ فِـــي الْبِلَـــى ... وَتُزْهِـــرُ فِي تِلْـــكَ الرُّمُـــوسِ العَوَامِـــسُ[٢٠]

وَإِمَّـــا مَمَـــاتٌ لَا قِـــيَـامَـــةَ بَعْـــدَهُ ... مَمَـــاتٌ لَعَمْـــرِي لَـــمْ يُسَـــاوِه فَاقِـــسُ"[٢١]

كَقَرْحَـــى تَبِـــيتُ العَيْـــنُ إِثْـــرَ قَصِـــيدَةٍ ... نَعَتْنِـــي إِلَـــى الدُّنْـــيَا زَمَانًـــا تُلَاعِـــسُ

فَحَتَّـــامَ حَتَّـــامَ الضَّـــجِيجُ مُجعْـــجِعًا ... وَيَهْـــوِي سَحِيْـــقًا مَـــن يَـــلُوكُ وَضَـــارِسُ؟

أَمَ انَّ شَبِيْـــهَ الصُّـــورِ يُعْـــلِنُ طَارِئًـــا ... وَنَـاقُـــورِ إِسْـرَافِيـــلَ حَتْـــمًا يُكَـابَـــسُ؟

أَلَـــمْ يَشْهَـــد الأَغْيَـــارُ قَبْـــلَ أَحِبَّتِـــي ... بِأَنِّي نَسِـــيْجُ الوَحْـــدِ غَـــيْرِي الأَوَاقِـــسُ؟[٢٢]

وَيَنْـــبِسْ لـــيَ الـــمُسْتَشْرِقُونَ وَأَنْصَـــفُوا ... بـــ"لَوْلَايَ لَـــمْ تُبْعَـــثْ إِلَيـــكُم نَـوَامِـــسُ"؟

إِذَا كَـــانَ ذَا قَـــولَ العِـــدَاةِ تَـــجَارُبًا ... فَـــأَيُّ ازْوِرَارٍ بِالعَشِيْـــرَةِ مَـاكِـــسُ؟

وَلِـــمْ فُـــرِّغَ الطَّاقَـــاتُ فِيْـــمَا نَوَافِـــلٌ ... وَتَـجْـــرِي جَهَـامًـــا عَـــكسَها وَتُعانِـــسُ؟

وَتَحْـــدُو بِـــهِم غُـلْـــوَاءُ نَفْـــسَ وَتِيْـــرَةٍ ... كَـــأَنَّ لَـهُـــمْ مِنْـهَـــا يَمِيْـــنًا تُغَـامِـــسُ!

وَيَشْـــكُو شِـبَالِـــي أَنَّ شَـــأوِي أَضَـاعَـــه ... طِـــعَانُ الـهَـــوَا أو أَنَّ مَـــاءً يُـرَاكَـــسُ[٢٣]

---

(١٦) يحسُّ: الحس هنا القطع والقتل، كما في قوله تعالى: (إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦٓ) والهرامس: العَبوس والضجيج والصخب من الناس.

(١٧) الأبيات الأربعة التالية لشاعر النيل حافظ إبراهيم مع تغيير في قوافيها.

(١٨) الطوافس: منايا الموت.

(١٩) أكافسُ: أتلوَّى.

(٢٠) كلمة "تُزهر": في بيت حافظ "تُنبتُ". العوامس: من عَمَسَ الكتابُ إذا دَرسَ وامَّحَى، وَدَرَسَ الشيءَ: أي أخفاه.

(٢١) الأبيات الأربعة السابقة لشاعر النيل حافظ إبراهيم مع تغيير في قوافيها، والفاقس: الميت.

(٢٢) الأوقاس: الخليط من الناس سقّاطا وعبيدا.

(٢٣) يُراكَس: أي يُحرث، والراكس: ثور في وسط البيدر.

فَطَافُوا بِذَاتِ الكَأسِ عُرْبًا وَطُمْطُمًا ... فَزَادَ التَّضَاغِيْ حِيْنَ نَضَّتْ مَلَاهِسُ[٢٤]

وَخَالُوا عُزُوفًا فِي الطِّلَابِ؛ تَنَكُّبًا ... هَلِ الشَّطْأُ إِلَّا مَا سَقَاهُ المُغَارِسُ؟

رَمَونِي بِعُسْرٍ، وَانَّ[٢٥] ضَبْطِي مُعَقَّدٌ ... وَهَيْهاتَ؛ ذَا ظَنٌّ تَفُوهُ الحَوَادِسُ!

وغيْرِي سَهَا وَالرَّيبُ حَولِيَ حَائِمٌ ... وَتُخْطِي أُنَاسٌ والمَلُومُ الخَوَانِسُ

أَلَيسَ لِيَ التَّقْرِيظَ مَا قَالَ مُبْدِعِي ... "فَلِلذِّكْرِ يَسَّرْنَا القُرَانَ" يُدَارَسُ؟

وَهَلَّا أَصَاخُوا السَمْعَ مَا قَالَ جِلَّةٌ ... كَمِثْلِ أَبِي فَتْحٍ وَهُوْ لَا يُوَالِسُ:[٢٦]

بأنَّ مَرَامِي النَّحْوِ أصْلًا أعَاجِمٌ ... وإنْ مَسَّتِ الحَاجَاتُ يَومًا فآنِسُ

عَلى أَنَّهُ حَتْمٌ تَوَفُّرُ مُصْحَفٍ ... يَلِيْ ذَاكَ إِعْجَامٌ، ذَوُوهُ هَنَادِسُ[٢٧]

وَضَرْبُ خَيامٍ بَعْدُ، والسَهْلُ أَوَّلًا ... وَآنَاؤُهَا عَقْبَ الوَكِيْرِ تُلاطَسُ[٢٨]

وَلَا تَرْجُوَنْ جَنْيًا فَسِيلًا مُجَنَّثًا ... وَلَا بَاقِلًا أَرضًا وَلَيسَتْ تُعَايَسُ[٢٩]

وَلَا اسْتَمْرَأَ السُّكْنَى بِبَيتٍ مُعَرِّسٌ ... أَسَاسُهُ جُرْفٌ وَهَارٍ وَمَاحِسُ[٣٠]

سَلَامٌ إِلَى أُسطُورةِ الشَّرْقِ حِنْكَةً ... عَظِيْمٍ دُبَيٍّ، لِلمَغَايِبِ نَاطِسُ[٣١]

تَحَايَا إِلَى تِمِّ النُّبُوغِ مُحَمَّدٍ ... كَرِيْمِ ذَوِي الجَدَّيْنِ شَمَّتْ مَعَاطِسُ

يَفِرُّ التَّحَدِّي وَالمُحَالُ أَمَامَهُ ... كَمَا خَافَتِ الفَارُوقَ قَبلًا أَبَالِسُ

بَدِيْعُ "سِبَاقٍ للقِرَاءَةِ"[٣٢] مُبْصِرًا ... وَمُنْبِطُ كُنْهٍ لَم يَصِلْه الفَدَاكِسُ..[٣٣]

---

(٢٤) الطمطم: الأعجمي، أو الذي في لسانه عجمة. نضّت: من نضّ الماء، إذا سَالَ قَلِيلاً، الملاهس: من اللهس، والملاهسة: المبادرة إلى الطعام والشراب حرصا والمزاحمة عليهما.

(٢٥) بتخفيف الهمزة في (ان).

(٢٦) يوالس: الموالسة: التعريض بالحديث وعدم التصريح به.

(٢٧) الهنادس: جمع هِندِس: وهو المجرب جيد النظر.

(٢٨) الآناء: جمع نُؤي. الوكير: أي الوكيرة. الملاطسة: أي البناء.

(٢٩) المعايسة: الحرث والإعداد.

(٣٠) الماحس: أي الشخص من غير ذوي الشأن والاختصاص، وهو في الأصل: الدابغ الجلد.

(٣١) المغايب: الخفايا، الناطس: العالِم والخبير والطبيب، أي يستشف الخفايا والخبايا بثاقب فكره وبصره.

(٣٢) مبادرة "**تحدي القراءة العربي**." وهي من أعظم وأنفع المبادرات من هذا النوع وبهذا المستوى والتنظيم.

(٣٣) الفداكس: الرجال الأقوياء.

بأنَّ إسَـــا العَرْبِـــيِّ فِكْـــرٌ – قِـــرَاءَةٌ ... وَكُـــلٌّ لِـهَـــامَاتِ السِّمَاكَيـــنِ بَاكِـــسُ[٣٤]

وَنَبْـــعًا ابْتِـــكَارٍ وَاخْتِـــرَاعٍ بَدَائِعًـــا ... وَأَرْجَـــى اخْضِـــرَارًا لِلعُقُـــولِ وَغَـــارِسُ

فَيَـــا رَبِّـــيَ الرَّحْـــمَانَ تُؤْتِـــي مُضَاعَـــفًا ... مِـــنَ الأَجْـــرِ هَـــذَا العَبْقَـــرِيَّ يُجَـانِـــسُ

وَأَمَّـــا سِـــوَاهُم، بِالنَّـوَايَـــا مُـــحَاسبٌ ... وَلكِـنَّنِـــي يَـــومَ التَّنَـــادِي أُجَـــاوِسُ:

أُسَائِلُهُـــم شَـــتَّى ثُبَـــاتٍ مَظَالِـــمًا ... رَمَانِـــي بِـــهَا الأَشْـــتَاتُ خَـــابَ الخُـــلابِسُ[٣٥]

فَرَنَّقْـــنَ صَفْـــوِي لِلعُفَـــاةِ تَعَمُّـــدًا ... وَحَـــاكُوا أَسَاطِيْـــرًا وَلَـلْإِفْـــكُ مَـائِـــسُ[٣٦]

أُرَامُ بِخَـــذْفٍ مِـــن بُيُـــوتِ زُجَاجَـــةٍ ... وَبَيْتِـــي حَـــرَامٌ بالحَجِيْـــجِ يُحَـــارَسُ

ذَرَانِـــيْ غُـــبَارًا ذُو طُـــفُولٍ أَصَـائِـــلًا ... وَشَـــمْسِي بِرُبْـــعٍ مِـــن نَهَـــارِي تُمَاغِـــسُ

وَنِيلَـــتْ بِـــحَارِي بِالغِـــيَاضِ وَعُقْمَـــةٍ ... لَـــدُنْ ذِي وَشِـيلٍ قُـــوسِ قَـــطْ قَـــطْ أَعَـــامِسُ[٣٧]

"أَنَـــا البَـــحْرُ فِـــي أَحشَـــائِهِ الـــدُّرُّ كَـــامِنٌ ... فَـــهَلْ سَـــآءَلُوا الغَـــوَّاصَ"[٣٨] عَمَّـــا أُغَـــامِسُ؟

أَنَا الكَوثَـــرُ الرَّقْـــرَاقُ لِلهِيْـــم سَائِـغًـــا ... تَسَاقَـــاهُ نِيْـــلٌ وَاليَبِيْـــنُ وَآلِـــسُ[٣٩]

وَرِيشِـــي الخَوَافِـــي فِـــي اللُّغَـــاتِ قَـــوَادِمٌ ... أَثُـلْفِـــي شِيَاتِـــي فِـــي لُغَاهَـــا الشَـــوَامِسُ؟

لُغَـــاتٌ لَـــهَا اللَّاتِيْـــنُ أَصْـــلًا مَـــرَاضِعٌ ... فَجَـــاءَتْ شِـــحَاحًا وَالقَوَافِـــي عَسَـــاعِسُ[٤٠]

يُقَاوِمُنِـــي الحُسَّـــادُ مِـــن أَصْـــلِ تَـــلَّةٍ ... وَلِـــي فِـــي نُيُـــوقٍ مِ الجِـــبَالِ مَجَالِـــسُ![٤١]

أَكِيْـــلُ بِقِسْـــطَاسٍ قَوِيـــمٍ مُوَافِـــيًا ... وَغَيْـــرِي تَطَافِيـــفٌ، وَخُسْـــرًا نَوَابِـــسُ

بِـــذَاتِ رطَـــانٍ خَبْـــطُ عَـــشْوَا مُوَكَّـــلٌ ... فَتَقْلَـــقُ رسْـــمًا وَالتَّهَجِّـــي يُهَالِـــسُ[٤٢]

---

(٣٤) الباكس: القاهر.

(٣٥) الخلابس: الكذب والباطل.

(٣٦) المائس: الجرح المتسع.

(٣٧) قوس: اسم صوت لزجر بعض الحيوانات، والعامس: المتجاهل.

(٣٨) تضمين من قصيدة حافظ إبراهيم المعروفة.

(٣٩) اليبين: إشارة إلى الأندلس، واليبين هو: الشعب الأصلي الذي سكن الأندلس، أتى إليها من الجزر التي في البحر الأبيض المتوسط، وكان لعقيدتهم "الآريوسية" أثر إيجابي لدخولهم في الإسلام. وآلس: نهر ببلاد الروم.

(٤٠) العساعس: القنافذ.

(٤١) النيوق: جمع نيق، وهو أرفع موضع في الجبل.

(٤٢) يهالس: من الإلهاس، وهو الضحك في فتور.

وَفِـــي الاِشـــتِقَاقِ الـــدَّاءُ أَعْيَـــا مُـــدَاوِيًا ... وَفَـقْـــرُ بَنَـــاتٍ عُـسْـــرَ ضَـبْـــطٍ يُعَاكِـــسُ

فَـــأَيُّ مَـمَاتِـــي أم بِـــأَيِّ قِـيَـامَـتِـــي ... عَـفَـــا اللهُ عَـنْـــهُم، نَـــوحَ ثَـــكْلَى تَـــمَارَسُوا؟

فَـــلَا تَقْرِنُـونِـــي بِالـرِّطَـــانِ تَـكَـــرُّمًا ... إِذِ السَّيْـــفُ سَـــيْفٌ وَالعِصِـــيُّ نَـــوَاخِسُ[٤٣]

وَمِـــن مُسْتَـــوِي عَـــرْشٍ سَلَامِـــي أَنَـالُـــه ... وَبِاللَّـــوحِ مَحْفُـــوظًا خُلُـــوديْ أُنَـــافِسُ

وَلكِـــنْ إِذَا بَايَـنْـــتَ قَومًـــا تَبَـرُّمًـــا ... فَـــمَا أَنْـــتَ مَـــنْ بَـــانَا بَـــلِ القَـــومُ عَاطِـــسُ

بِغَيْـــرِي عُـــطَاسٌ وَالـــدَّوَاءُ بِـظِـنَّـــةٍ ... لِنَـفْـــسِي، وَأَشْبَالِـــي بِعَـــدْوَى تُـبَـــالَسُ

فَقُـــوا قُـــوا يَوَاميمِـــي[٤٤] طَرَائِـــقَ مَعْشَـــرٍ ... قَضَـــوا بِاخْتِزَالِـــي فِـــي النُّحَـــاةِ وَعَابَسُـــوا

أَمَـــا ذَمَّ مِـــن قَبْـــلُ الفَـــرَزْدَقُ مَـــن بَـــغَى ... سَبِيْـــلًا لِضَبْـــطِي لَـــم يُؤَانِـــسْ مُـــمَارِسُ:[٤٥]

((فَـــلَو كَـــان عَبـــدُالله مَولًـــى هَـجَـوتُـــه ... وَلَـكِـــنَّ عَبْـــدَالله مَـولًـــى)) يُـرَاهَـــسُ؟[٤٦]

وَفِـكْـــرُ أَبِـــي مَـــرْوَانَ لَـــيْسَ خَـافِـــيًا ... عَلَيْـــنَا وَلَا عَـنْـــهُم، يَعِـيْـــهِ العَنَـــابِسُ:

((وَلَسْـــتُ بِنَحْـــوِيٍّ يَـلُـــوكُ لِسَـانَـــهُ ... وَلَـكِـــنْ سَلِيْقِـــيٌّ أَقُـــوْلُ)) مُجَـــارِسُ

وَرَبِّـــي، لَـــنِعْمَ الـــرَّأيُ هَـــذَا مُـحَـكَّـــمًا ... لِمَـــا بَيْنَـــهُمْ بَيْنِـــي لِتَشْـــهَدْ أَوَاجِـــسُ:[٤٧]

فَنِـــصْفٌ لأَشْبَالِـــي هَـنِيْـــئًا بِقِسْـمَـــةٍ ... وَصَـــدْرٌ، وَلَا ضِيْـــزَى، لأُسْـــدِي تُـــهَارِسُ

تُـــهَارِسُ فِـــي مِـثْـــلِ الفِـــرَاءِ هَـرِيْـتَـــةً ... وَأَمَّـــا شُـبَـيْـــلي فَالأَرَانِـــي فَـرَائِـــسُ

فَسِـــيحُوا بِهِـــم فِـــي دَارِ قَـيْـــسٍ وَحَاتِـــمٍ ... تَمِيْـــمٍ، هُـذَيْـــلٍ، ثُـــمَّ أَسْـــدٍ فَجَـــالِسُوا

فَتَلْقَـــوا نِيَـــاطَ القَلْـــبِ يَسقِـــي أَرُومَـــه ... لَـبِـيْـــدٌ وَأَعْشَـــى وَابـــنُ شَـــدَّادَ عَـــابِسُ

وَعُوجُـــوا عَلَـــى عَرْصَـــاتِ مُلْكِـــي فُتُوهَبُـــوا ... جَـزِيْـــلَ العَطَايَـــا مِ النَّوَابِـــغِ عَالَـــسُوا[٤٨]

---

(٤٣) النواخس: الناخس هو بيَّاع الدواب والرقيق.

(٤٤) اليواميم: جمع ياموم: وهو فرخ الحمامة.

(٤٥) ممارس: أي العرب، وبنو ممارس بطن منهم.

(٤٦) يراهس: كناية عن الاحتقار.

(٤٧) الأواجس: الدهور والأزمنة.

(٤٨) عالسوا: من العُلس، وهو ما يؤكل ويشرب.

شَعَائِرِيَ اسْتَوفُوا زَمَانًا مَكَانَةً ... وَجُوْزُوا بِوَادِي عُرْنَةٍ لَا تُجَالِسُوا

أَتِمُّوا صِيَامَ الشَّهْرِ ثُمَّ تَبَاشَرُوا: ... تَحُولُ مَيَاسِيْنَ اللَّيَالِي الدَّوَامِسُ(٤٩)

وَآبَتْ لَكُم نَفْسِي أَشَدَّ نَضَارَةً ... وَيُرْجَى طَرَاءٌ بِالسَّلِيْقَةِ عَايِسُ(٥٠)

وَإِنَّ ارْتِضَا الأَدْنَى بِتَفْوِيْتِ مَا غَلَا ... مُهِيْنُ الغَوَالِي، لِلكَسِيْدِ المُنَاهِسُ

وَلَو كُنتُ مُسْطِيْعًا لِذَاكَ فَعَلْتُه: ... فَتَحْتُ فُؤَادَ النَّحْوِ سُقْيا أُمَاعِسُ(٥١)

وَأَمْلَأْهُ طَسْتًا يَقِيْنًا وَحِكْمَةً ... وَأُطْبِقُهُ عَشْرًا، بِعَشْرٍ تَنَاخَسُ(٥٢)

وَذَاكَ الَّذِي أَبْغِيهِ دَينًا مُؤَجَّلا ... أَزِدْهُم رِبًا عَشْرًا، وَلَا خَبْطَ مَاسِسُ(٥٣)

وَفِيْهِ عَنِ الطُّومَارِ فَصْلٌ وَغُنْيَةٌ ... وَيَكْفِي لِجِيْدِي مِ الحُلِيِّ المُهَالِسُ(٥٤)

وَسَاءَلْتُ نَفْسِي، لَا أَزَالُ أُسَائِلُ ... وَأَسْأَلُهُمْ، يَومَ الرُّؤُوسُ نَوَاكِسُ

أَطَودِي خَلِيْلًا، يَا فَخَارِيْ ابْنَ قَنْبَرٍ ... أَيَا بَا عَلِيٍّ تَاجَ رَأسِيْ، الطَّيَالِسُ:

أَزَارَتْكُمُ الأَنْبَاءُ عَنْ عَالَمِ اللُّغَى؟ ... رِجَالًا وَسِيْدًا سِيْدَ، دَسَّى نَسَانِسُ!(٥٥)

وَأَنَّ "قُرَانَ النَّحْوِ" بَاتَ مُقَسَّمًا(٥٦) ... وَسَعْيَكُمُ المَشكُورَ عَشْرٌ بَجَائِسُ:

فَيَنْهَبُهُ "صَرْفٌ" "مَعَانٍ" و"مِرسَمٌ" ... وفِقْهِي وَنَحْوِي وَاحِدٌ لَم تُعَامِسُوا(٥٧)

وَمِنْهُ اسْتَمَدَّ "النَّقْدُ" وَ"الصَّوتُ" أَصْلَهَا ... وَ"وسْمُ تَرَاكِيْبٍ" "بَيَانٌ" تُقَابَسُ

أَجَلْ، ثُمَّ لِلَّهْجَاتِ حَظٌّ مُوَفَّرٌ ... وَ"عِلمُ الدِلَالِ" اليومَ فِيْهِ يُقَامِسُ(٥٨)

---

(٤٩) المياسين: جمع ميسان، وهو اسم لليلة البدر.

(٥٠) العايس: أي المنتج.

(٥١) سُقيا: ماء زمزم، أماعِسَ: من مَعَس، بمعنى دلك دلكا شديدا، أي الغسل.

(٥٢) تناخسُ، التناخس: أن تصب الغدران بعضها في بعض، إشارة إلى علوم أخرى مساعدة، لكن بقدر يسير.

(٥٣) إشارة إلى قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}. أي هذا النوع من الربا حلال.

(٥٤) المهالسة: المسارّة والمهامسة.

(٥٥) النسانس: الذين يتشبهون بالناس وليسوا منهم، أي أنصاف العلماء والدخلاء.

(٥٦) قرآن النحو: لقب كتاب "الكتاب" للإمام سيبويه.

(٥٧) أي: علم الرسم.

(٥٨) دِلال: علم الدلالة.

عَدِيـــدُ ســـوَاقٍ قَـــد نَشَـــفْنَ مُحِيْـــطَكُم ... فـ"رَاكِبُ بَحْرٍ " حَارَ إذْ هَارَ حَابِسُ[٥٩]

وَحَـــارَ مَعَـــا يَمِّـــي يُطَالِـــعُ نُهْيَـــةً ... فَيَـــلْقَى مُشَـــاشًا، أَو حُشَـــاشًا يُشَـــاوِسُ

وَلكِـــنْ بِدَهْلِيـــزِ الأَكَادِيْـــمِ حَيْـــرَةٌ ... ضِبَـــابٌ وَنِيْـــنَانٌ بِقَـــاعٍ تَنَـــادَسُ![٦٠]

وَجُـــلُّ حَدِيْـــثِ النَّحْـــوِ حَـــقًّا طَرَائِـــقٌ ... لِشَتَّـــى أَضَامِيْـــمِ القَبِيْـــلِ تَقَابَـــسُ

فَمَـــا لِـــي وَأَشْبَالِـــي بِجُـــلِّ مَسَائِـــلٍ؟ ... فُطِـــرْنَ بِـــهَا أَو ذَوقَـــهَا لَا تُجَـــانِسُ

أَرَبِّـــيْ، لَقَـــدْ، وَاللهِ، تَـــاهَ سَـــبَاسبًا ... بِأَشْبَالِـــيَ الزُّغْـــبِ الحَـــوَاصِلِ سَائِـــسُ[٦١]

يَـــرَى أَنْ دِرَاسُ النَّحْـــوِ أَمـــرٌ مُحَتَّـــمٌ ... لِفَهْـــمِ كَـــلَامِ العُـــرْبِ، وَالزُهـــدُ كَـــادِسُ[٦٢]

أَقُـــولُ، كَمَـــا قَـــالَ المَعَـــرِّي، مُسَائِـــلًا: ... أَلَيْـــسَ لَنَـــا عَقْـــلٌ أَلَيْسَـــتْ حَوَاسِـــسُ؟؟

مُغَالَطَـــةٌ لا تَعْـــرِفُ القَصْـــدَ مِنْهُـــمُ ... فَمَـــا بَـــالُ قَـــومٍ لَـــمْ تَـذُقْهُـــم مَـــدَارِسُ!؟

فَهَـــلَّا أَرَاحُـــوا وَاسْتَرَاحُـــوا وَرَكَّـــزُوا ... عَـــلَى أَنْ يُـــرَوُّوا الغَـــرْسَ نَـــصًّا يُمَـــارِسُ؟

وَيُعْطُـــوا لِكُـــلِّ حَقَّـــهُ وَنَصِيْـــبَهُ ... فَـــلَا يَحْمِـــلُوا وِزْرًا بَرِيْـــئًا يُكَافِـــسُ

جَـــلَالِكَ رَبِّـــي، هَـــل فَقِيْـــهٌ مُجَـــنِّبٌ ... مَزِيـــدَ اتِّسَـــاعِ الخُـــرْقِ والحِيْـــنُ قَـــارِسُ؟

فَيُوجِـــبَ رَتْعًـــا فِـــي الرِّيَـــاضِ مُحَـــذِّراً ... بِـــأَلَّا تَغُرْهُـــم عَـــنْ مَـــرَاعٍ مَـــوَارِسُ؟[٦٣]

يَمِيْـــزوا وَشِيْـــلًا مِـــن شَلِيْـــلٍ ضَـــرُورَةً ... وَتَمْتَـــازَ غَنَّـــاءٌ لَـهُـــمْ وَالعُـــدَامِسُ؟[٦٤]

وَيَفْـــرِضَ تَحْـــرِيْـــكًا لآخِـــرِ لَفْظَـــةٍ ... بِكُـــلِّ صَحِيْـــفٍ أَو حَوَتْـــهَا قَـــرَاطِسُ؟

فَمَـــا خُيِّـــرَ الـــمَاحِي[٦٥] فَفَضَّـــلَ أَصْعَـــبًا ... وَأَبْـــرَكُ عِـــرْسٍ: فِـــي المَـــؤُونِ الـــمُشَاوِسُ[٦٦]

---

(٥٩) راكب بحر: هذا التعبير كناية عن قارئ "الكتاب" للإمام سيبويه؛ حيث كانوا يقولون لشداة العربية: هل ركبتَم البحر؟

(٦٠) التنادس: التطاعن.

(٦١) السائس: ممن أوكلت إليهم شؤون التعليم ووضع المناهج الدراسية في المدارس والكليات.

(٦٢) الكادس: ما يتطير به من الفأل والعطاس ونحوهما.

(٦٣) تغُرْهم: أي تغرُرهم. والموارس: من: ورس الحجرُ إذا علته الطحالب في الماء فيصير أخضر أملس.

(٦٤) العدامس: ما كثر من يبس الكلأ بالمكان، ويقال: كَلَأٌ عُدامس أيضًا.

(٦٥) الماحي: من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٦٦) المشاوس: القليل.

يُوَفِّـــرْ عَلَيْـــنَا مِـــن سِنِيْـــنَا أُلُـوفَهَـــا ... وَيُحْـــيِ سَـلِيْـــقًا وَاللُّغَـــاتُ حَـــمَائِسُ[٦٧]

وأمَّـــا بَنُـــو الأَخْـــيَافِ حَـــامٍ ويَـافِـــثٍ ... فَشَـأنُـــهمُ شَـــأنَ العُـــرُوبِ يُعَاجِـــسُ[٦٨]

أَقِيْمُـــوا بَنِـــي أُمِّـــي مَسِيْـــرَةَ فِكْرِكُـــمْ ... عَلَـــى سُنَّـــةِ العُـــربِ القحَـــاحِ وَلَائِـــسُوا

وَفـــي الشَّـــنفَرَى الأَزْدِيْ كَبِـــيرُ تَسَـــاؤُلٍ ... عَـــلَامَ أَخُـــو قَـــومٍ لِغَيْـــره مَـائِـــسُ؟

أَزُفُّ إِلَـــيكُم ذِي القَـوَافِـــي حِسَانَـــها ... زَفَـــافَ "فَتَـــاةِ العُـــرْبِ" كُـــفْءًا تُعَـــارِسُ!

(٦٧) اللغات: اللغة العربية، والحمائس، جمع حميسة، من حَمُس بمعنى: شجُع، ونشط، واندفع، والحميسة من اللحم: النضيجة.

(٦٨) يعاجس: أي يختلف نوعًا.